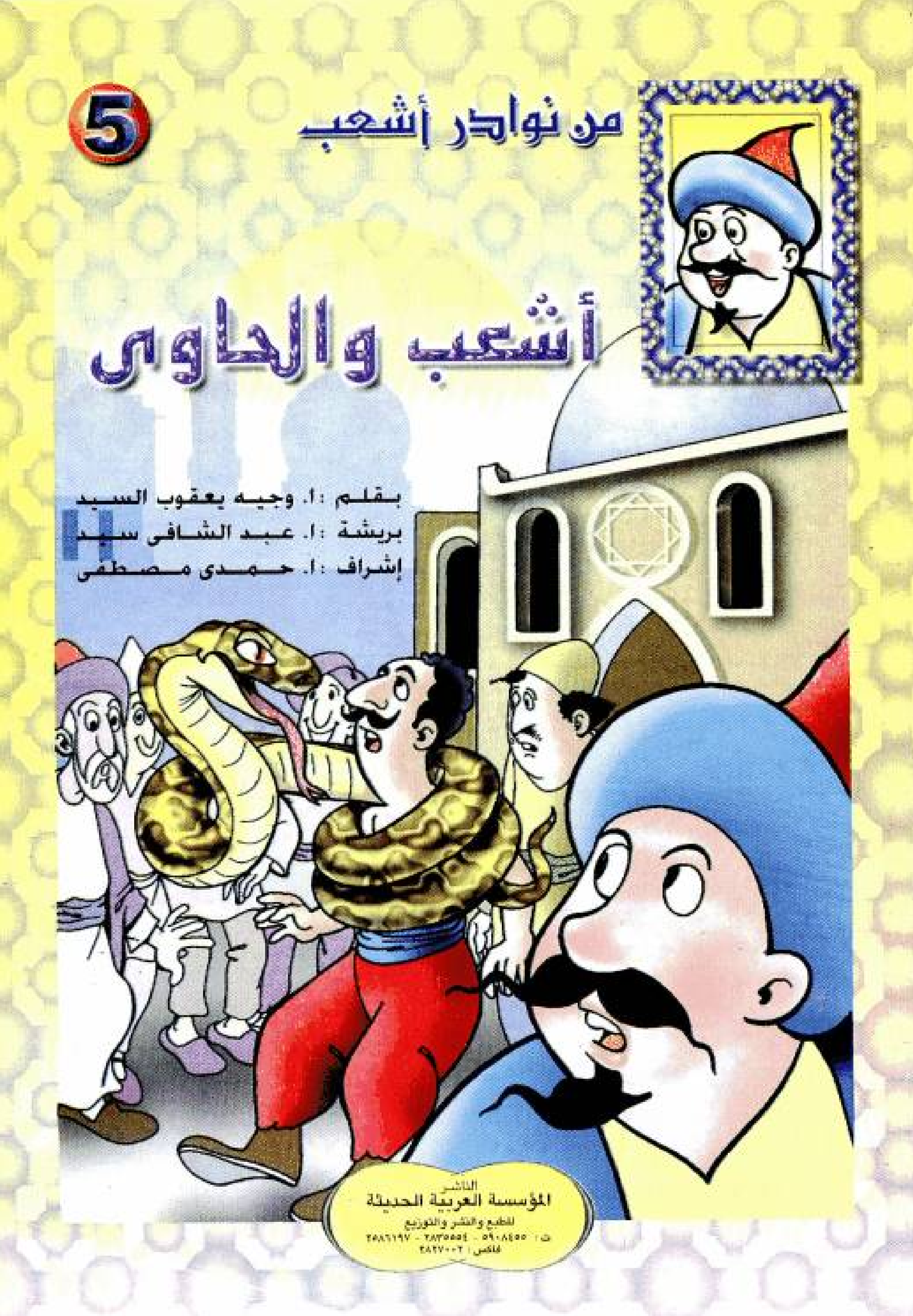

5
من نوادر أشعب
أشعب والحاوى
بقلم : أ. وجيه يعقوب السيد
بريشة : أ. عبد الشافى سيد
إشراف : أ. حمدى مصطفى
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٨٨٦١٩٧
فاكس : ٢٨٢٧٠٠٢



أشْعَبُ الطَّماع

شخْصِيَّةٌ حقيقيَّةٌ ، اشْتهرَت بالنَّهم والشَّراهَةِ فى الأكْل ، يعْتَبرُهُ البعْضُ أميرَ الطُّفَيْلِيِّينَ بلا مُنَازِع ، حيْثُ يتسلَّلُ إلى كلِّ مائدَةٍ أو احْتِفالٍ أو عُرْسٍ فيه طعامٌ ، دونَ أن يدْعُوَه أحدٌ أو ينْتظرَ دَعْوَةً من أحدٍ .
وعلى الرَّغْمِ من كُلِّ هذا ، فقدْ كان أشْعَبُ شخصيَّةً مَرِحةً محْبوبَةً ، تتَّسِمُ كلُّ مواقِفه بالفُكاهَةِ والضَّحِكِ ، بسببِ ظرفه وخفَّة روحه ومواقِفِه الطَّرِيفَةِ !

حكاية أشعب والحاوى

بقلم : أ.وجيه يعقوب السيد
بريشة : أ.عبد الشافى سيد
إشراف : أ.حمدى مصطفى

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

كانتِ الشَّمسُ تميلُ للغُروبِ عِندما دخلَ (أشْعبُ) بَيْتَهُ ، بعدَ يومِ عَمَلٍ شاقٍّ لِلْغاية . أغْلقَ (أشْعبُ) بابَ حُجْرَتهِ على نَفْسِهِ ، وفتحَ كِيسَ نُقُودِهِ ، وأخذَ ينْظُرُ إليْه مَلِيًا ، ثمَّ وضعَ فيه دِرْهمًا ، كان قد كسَبَهُ مِنْ عمَلهِ طُوالَ اليوْم .

كانَ (أشْعب) يَنْظُرُ إلى الدِّرْهم نَظْرةَ حَنينٍ ولَهْفَةٍ ، ثمَّ يُخاطِبُه قائلاً :

ـ أيُّها الدِّرْهمُ الْحبيبُ ، كَمْ مِنْ مسافةٍ قدْ قطَعْتَ ، وكَمْ مِنْ كِيسٍ قدْ فارَقْتَ حتَّى وصلْتَ إليَّ ؟! أُقْسِمُ إن لكَ عليَّ عَهْدًا ألا أُهينَكَ ولا أُخْرِجَك مِن كيسِ نُقُودي هذا أبدًا ، فادْخُلْ على بَرَكَةِ اللَّه إلى مكانٍ لا ترَى فيه النُّورَ أبدًا .



انْتَبهتْ زوْجَةُ (أشْعب) إلى هذا الصَّوْتِ الصَّادرِ مِنْ حُجْرةِ زوْجِها ، فأسْرعَتْ نَحْوَهُ ودفعَتِ الْبابَ ، فإذا (أشْعب) على تِلْكَ الْحالِ .. تعجَّبَتِ الزَّوْجَةُ وقالتْ في دَهْشَةٍ :

- ما هذا يا رَجُل ؟ ألَمْ تَزْعُم أنَّكَ مُفْلِسٌ لا تَمْلكُ دِرْهمًا واحدًا ؟

تلَعْثَمَ (أشْعبُ) مِنْ أثرِ الْمُفاجَأةِ ثمَّ قالَ :

- إنَّني أفْعلُ كُلَّ هذا من أجْلكُمْ يا زَوْجَتي الْعَزيزة .. أُريدُ أنْ أتْركَكُمْ أغنِياءَ بدلاً مِنْ أنْ تُصْبِحوا فُقَراء تتكَفَّفُونَ النَّاسَ .



مـسَحَتِ الزَّوْجـةُ دُمُوعَـهـا ، وغَـالَبَتْ أحْـزَانَـهـا وهـى تُوَبِّخُ (أشْعب) قائِلةً :

- إنَّ ابْنتَكَ الصَّغيرةَ تشْتَـهى أنْ تأكُلَ الحَلْوَى مُنْذُ شهْرٍ ، وكلَّمـا طلبَتُ منْكَ أن تَشْـتَرِىَ لهـا الحَلْوَى تعلَّلْتَ بـالـفَـقْـرِ والفَاقةِ .

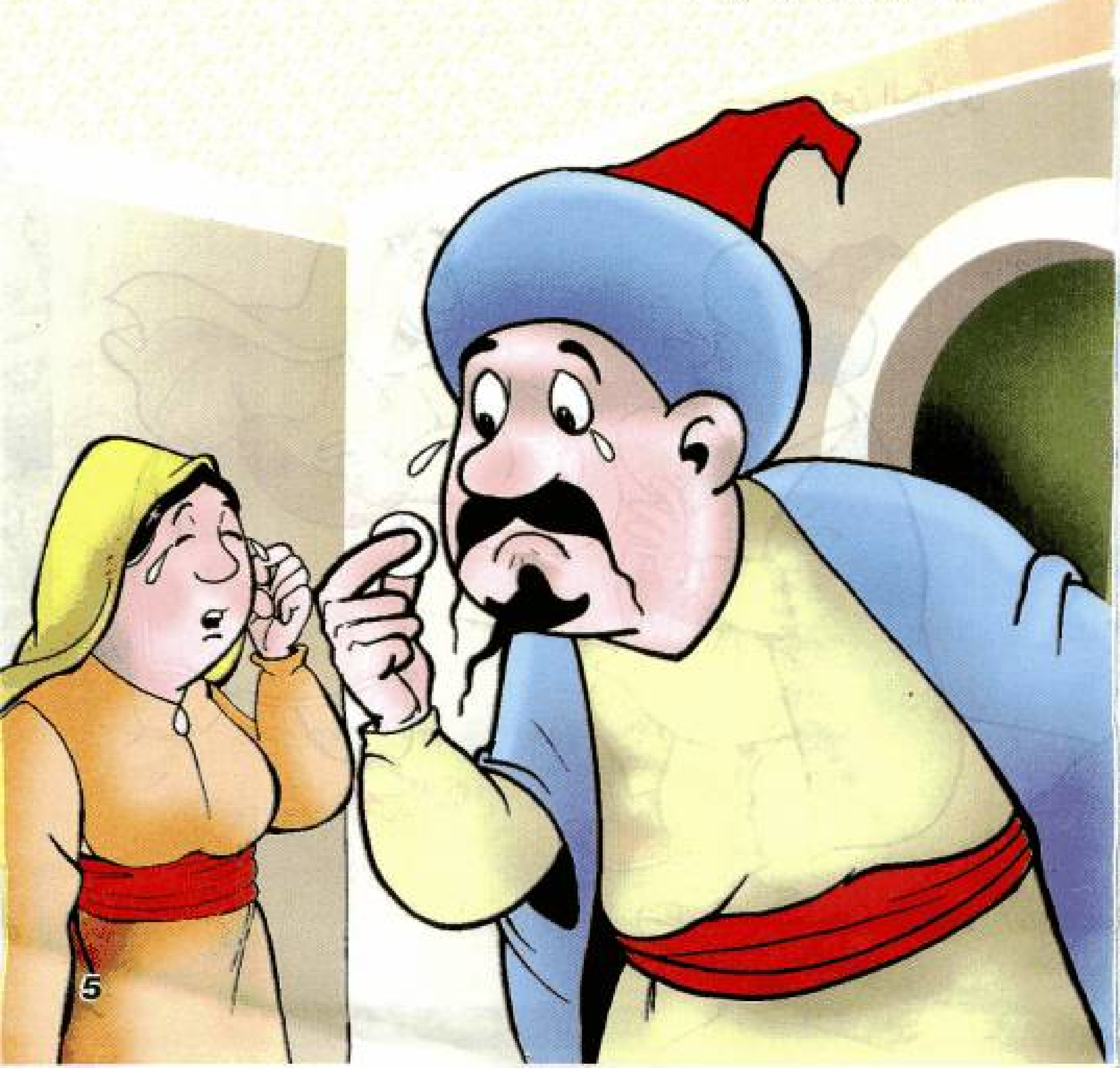
ثمَّ أضافتْ قائلةً :

- إنَّك أبٌ قَاسٍ لا تعْرِفُ الشَّفَقَةَ ولا الرَّحْمـةَ .. كيْف تَتْرُكُ ابْنتَكَ على مِثْلِ هذا الحالِ وأنْت تكْنِزُ المالَ أيُّها البَخيلُ ؟!



لم يتحملْ (أشْعب) بُكاءَ زَوْجَتهِ ، فرقَّ قلْبُه لحالها وحالِ ابْنتهِ ، فمدَّ يدَه فى تَقَاعُسٍ وأخْـرَجَ دِرْهمًـا وناوَلَها إيَّاهُ ، ودمُوعُه تسيلُ على خدِّه وهو يقول :

ـ اذْهَبْ فى أمانِ اللَّه أيُّها الدِّرْهمُ الحبيبُ ، فوَاللَّه ما عزَّ علىَّ شىْءٌ ، مثلما عزَّ علىَّ فِراقُك ، وإنَّا للهِ وإنَّا إليْهِ راجِعونَ ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّة إلا باللَّه .



أخذتْ زوْجةُ (أشْعب) الدِّرْهمَ منْه بسُرْعةٍ قبلَ أن يُفيقَ من سكْرَتهِ ، ونظَرتْ إليْهِ غيْرَ مُصدِّقةٍ وقالت :

ـ ما هذا يا (أشْعبُ) ، أتَبْكى وتُوَلْوِلُ مِنْ أجْلِ دِرْهم ؟

وفى حَسْرة ومَرَارَة أجابَ (أشْعبُ) :

ـ أجلْ يا امْرَأةُ ، فما استَحقَّ أنْ يُولَدَ مَنْ فرَّطَ فى دَراهِمِهِ بهذه السُّهُولة ..

ثم أضافَ قائلاً قبْلَ انْ يَتَّجِهِ إلى الباب خارجًا :

ـ وعلى أيَّةِ حالٍ ، لا تنسَىْ أنْ تَتْركى لى نصِيبى مِنَ الحلْوَى حتَّى أعودَ ..



خرج (أشعبُ) مُطرِقَ الرَّأس ، بَيْنما أقبلَتِ الأمُّ على ابْنَتِها تَزُفُّ إليْها البُشْرَى والأخْبارَ السَّارَّةَ .

احْتضنَتِ البنْتُ أُمَّها وهى تقولُ :

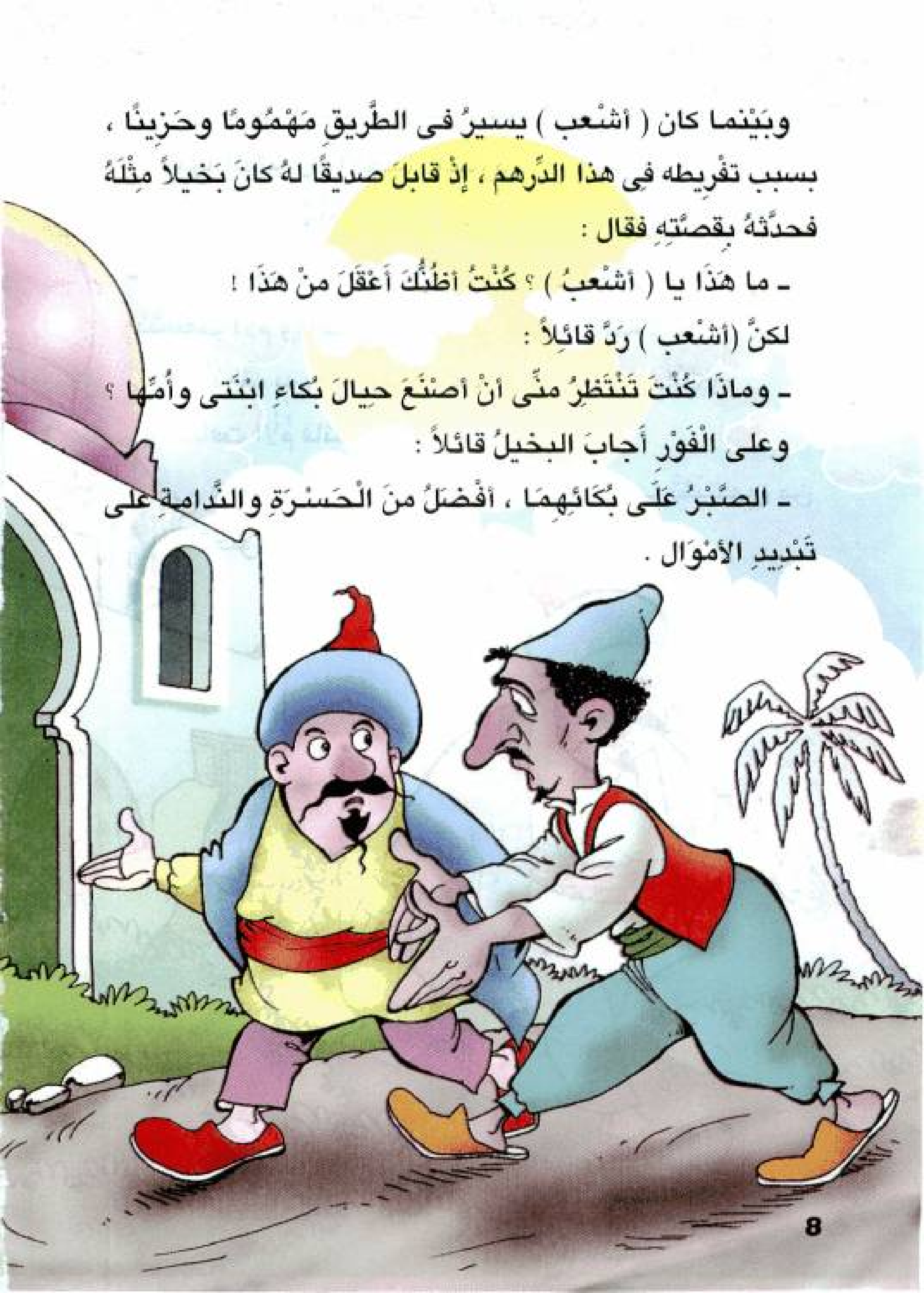
- أخيرًا استطَعْتِ إقْناعَ أبى ؟ يالها مِنْ مُعجِزةٍ !

ابْتَسَمتِ الأُمُّ وقالت وهى تُداعِبُ ابْنَتَها قائلة :

- لقدْ أقْنَعْتُه بِسلاحِ الْمَرْأَة الوَحيدِ يا ابْنَتى ، بالْبُكاءِ ..

وأضافَتِ الأُمُّ قائِلة :

- وعلى أيَّةِ حالٍ ، فسوْف أُحْضِرُ لكِ ما تَشْتَهِينَ مِنَ الحلْوَى !



وبَيْنما كان (أشْعب) يسيرُ فى الطَّريقِ مَهْمُومًا وحَزِينًا ، بسبب تفْرِيطه فِى هذا الدِّرهم ، إذْ قابلَ صديقًا لهُ كانَ بَخيلاً مِثْلَهُ فحدَّثهُ بِقصَّتِهِ فقال :

- ما هَذَا يا (أشْعبُ) ؟ كُنْتُ أظنُّكَ أعْقَلَ منْ هَذَا !

لكنَّ (أشْعب) رَدَّ قائِلاً :

- وماذَا كُنْتَ تَنْتَظِرُ منِّى أنْ أصْنَعَ حِيالَ بُكاءِ ابْنَتى وأُمِّها ؟

وعلى الْفَوْرِ أَجابَ البخيلُ قائلاً :

- الصَّبْرُ عَلَى بُكَائِهِمَا ، أفْضَلُ منَ الْحَسْرَةِ والنَّدامةِ على تَبْديدِ الأمْوَال .



مالَ (أشْعبُ) على صديقهِ البخيل قائلاً :

ـ إنَّنَا أمامَ دارِكَ ، والْجَوُّ كما ترَى حارٌّ ، فهلْ جِئْتَنَا بقَليلٍ مِنَ الشَّرابِ ؟

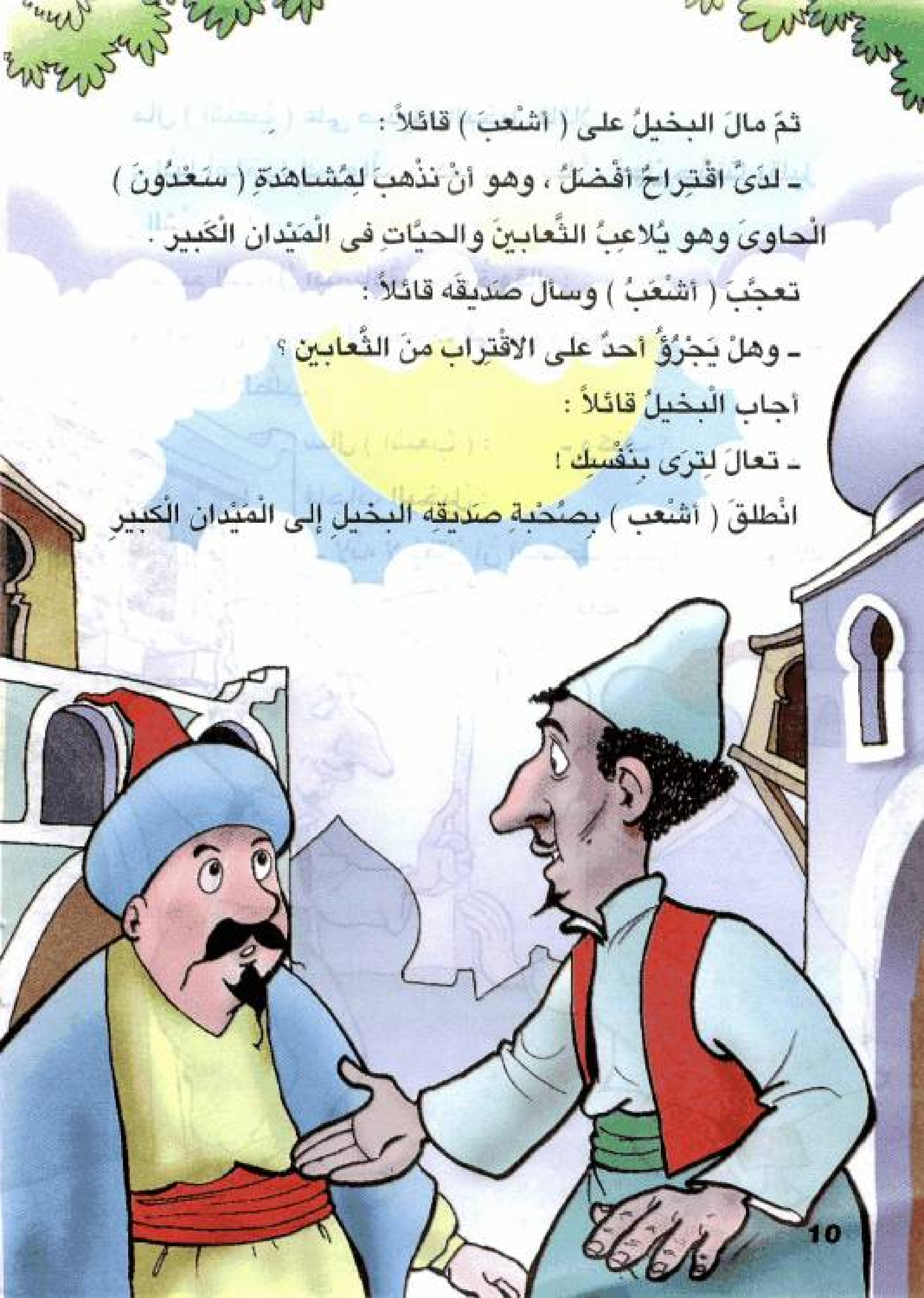
ابْتَسم البخيلُ ابْتِسامةً ساخِرَةً وقال :

ـ يالكَ مِنْ أحْمَقَ ، لوْ تدبَّرْتَ فى نصيحَتى لكَ ما طلَبْتَ مثْلَ هذا الطَّلب .

سأل (أشْعبُ) : ـ وكيْفَ ؟

فأجابَ البخيلُ :

ـ لأنَّه لا يُعْقَلُ أنْ أنصَحكَ بعَدم تَبْديدِ أمْوالِكَ ثمَّ أُبدِّدُها أنا ؟



ثمَّ مالَ البخيلُ على (أشْعبَ) قائلاً :

- لدىَّ اقْتِراحٌ أفْضلُ ، وهو أنْ نذْهبَ لِمُشاهدةِ (سَعْدُونَ) الْحاوىَ وهو يُلاعِبُ الثَّعابينَ والحيَّاتِ فى الْمَيْدان الْكَبير .

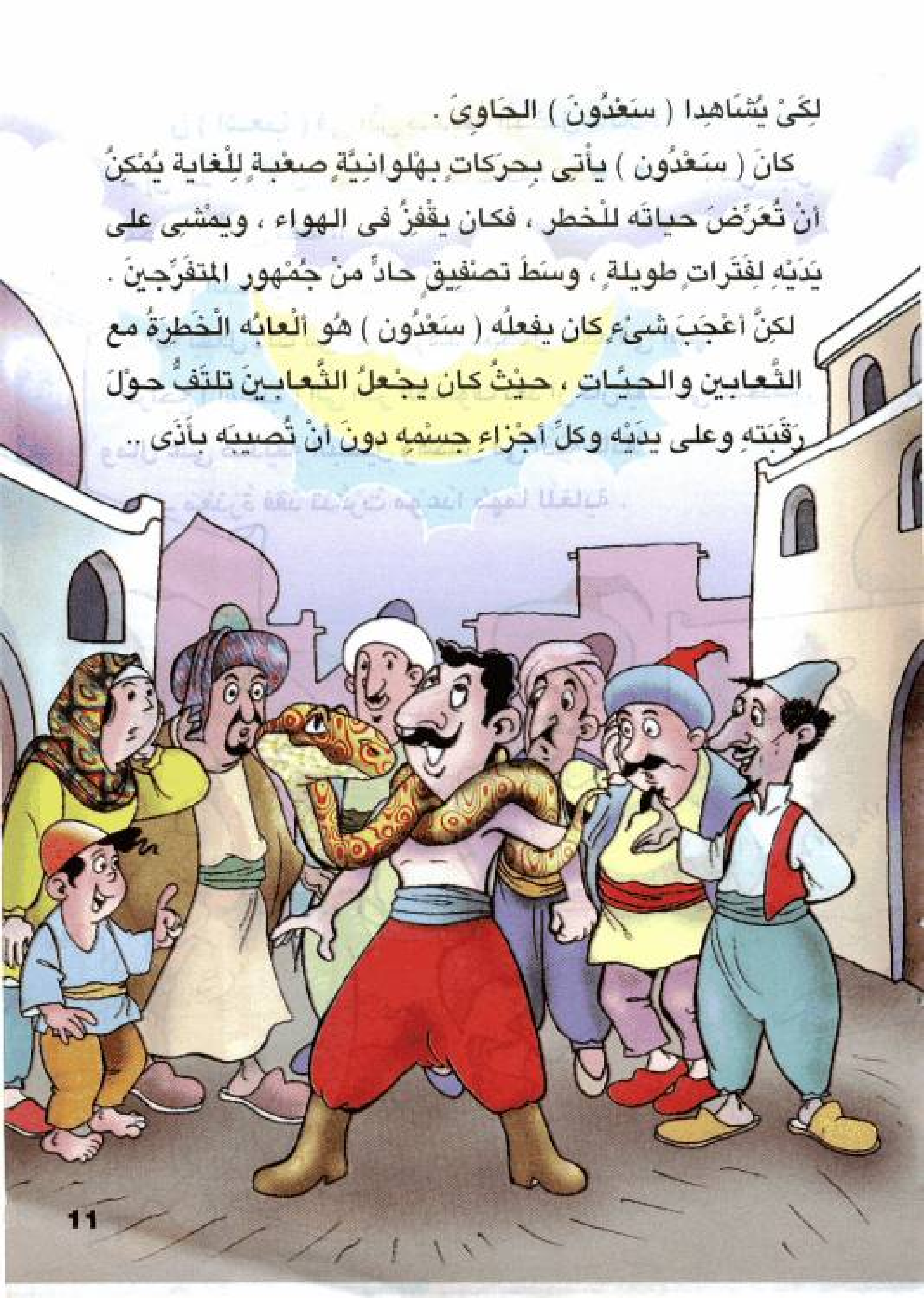
تعجَّبَ (أشْعَبُ) وسأل صَديقَه قائلاً :

- وهلْ يَجْرُؤُ أحدٌ على الاقْتِراب منَ الثَّعابينِ ؟

أجابَ الْبخيلُ قائلاً :

- تعالَ لِترَى بِنَفْسِك !

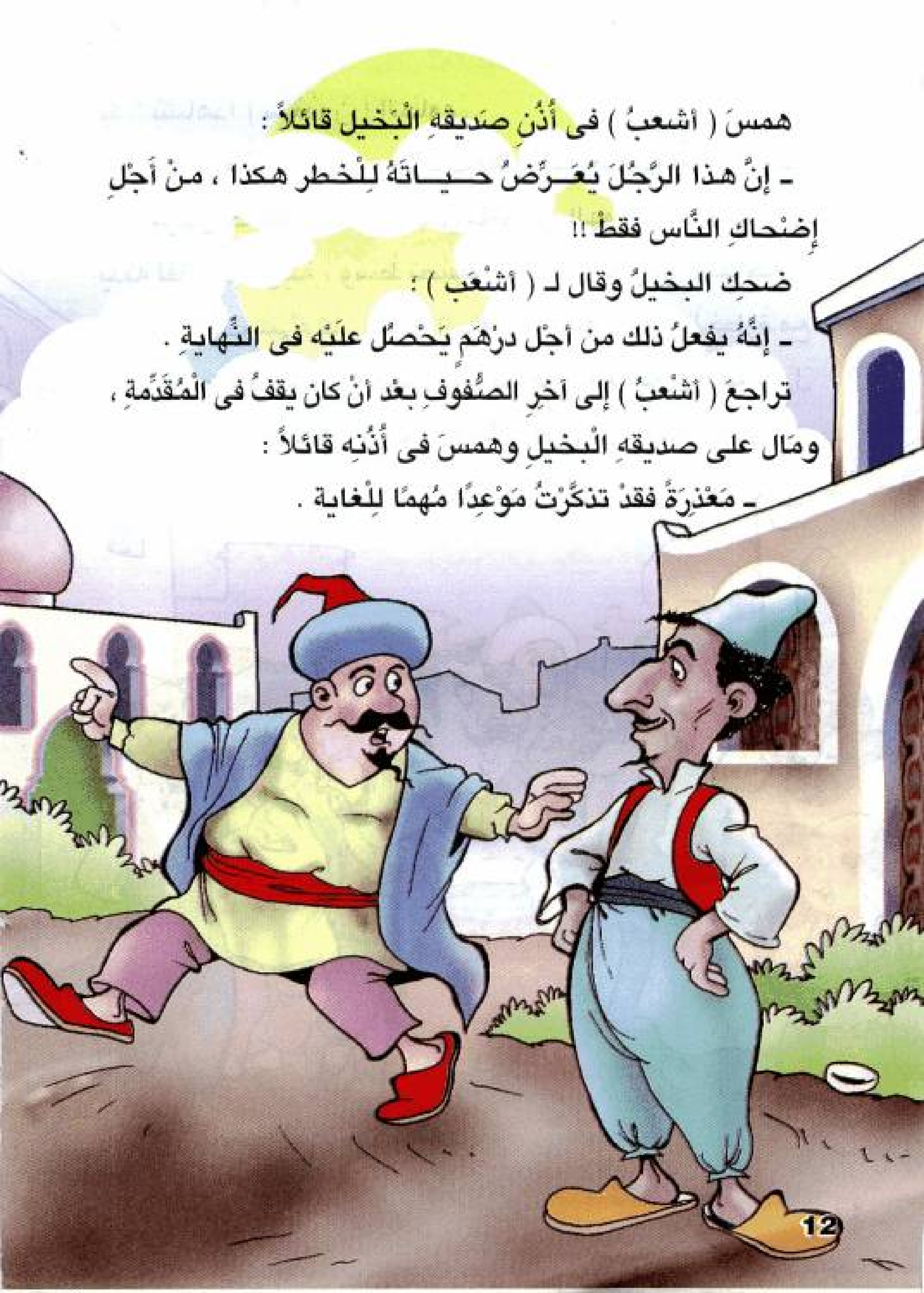
انْطلقَ (أشْعب) بِصُحْبةِ صَديقِه البخيلِ إلى الْمَيْدان الْكبيرِ



لِكَيْ يُشَاهِدا (سَعْدُونَ) الحَاوِيَ .

كانَ (سَعْدُون) يأْتِي بِحركاتٍ بهْلوانِيَّةٍ صعْبةٍ لِلْغاية يُمْكِنُ أنْ تُعَرِّضَ حياتَه للْخطر ، فكانَ يقْفِزُ في الهواءِ ، ويمْشِي على يَدَيْهِ لِفَتَراتٍ طويلةٍ ، وسَطَ تصفِيقٍ حادٍّ منْ جُمْهورِ المتفَرِّجِينَ .

لكِنَّ أعْجَبَ شيْءٍ كان يفعلُه (سَعْدُون) هُوَ ألْعابُه الْخَطِرَةُ مع الثَّعابِينِ والحيَّاتِ ، حيْثُ كانَ يجْعلُ الثَّعابِينَ تلتَفُّ حولَ رَقَبَتِهِ وعلى يدَيْه وكلَّ أجْزاءِ جسْمِهِ دونَ أنْ تُصيبَه بأذَى ..



همسَ (أشعبُ) فى أُذُنِ صَديقهِ الْبَخيلِ قائلاً :

- إنَّ هذا الرَّجُلَ يُعَـرِّضُ حـيـاتَهُ لِلْخطرِ هكذا ، منْ أَجْلِ إِضْحاكِ النَّاس فقطْ !!

ضَحِكَ البخيلُ وقال لـ (أشْعَب) :

- إنَّهُ يفعلُ ذلك من أجْل درْهَمٍ يَحْصُلُ عليْه فى النِّهايةِ .

تراجعَ (أشْعبُ) إلى آخرِ الصُّفوفِ بعْد أنْ كان يقفُ فى الْمُقدِّمةِ ، ومَال على صديقهِ الْبخيلِ وهمسَ فى أُذُنِه قائلاً :

- مَعْذِرَةً فقدْ تذكَّرْتُ مَوْعِدًا مُهمًا لِلْغاية .

أسرعَ (أشعبُ) عائدًا إلى منْزِله ، ودقَّ بابَ الْبَيْتِ بقُوَّة وبِعُنْفٍ ، فظنَّتْ زوْجَتُه أنَّ كارِثَةً قدْ وَقَعَتْ ، وفتَحَت البابَ فإذا بـ (أشْعبَ) يندفعُ إلَى الدَّاخِلِ مُضطربًا وهو يلْهثُ مِن أثَرِ الجَرْيِ السَّريع .

سألَ (أشْعب) زوْجَتَه فى لَهْفة :

ـ هلِ اشْتريْتُمُ الْحلْوَى بالدِّرْهم الَّذى أخَذْتُموهُ مِنِّى ؟

فأجابتِ الزَّوْجةُ :

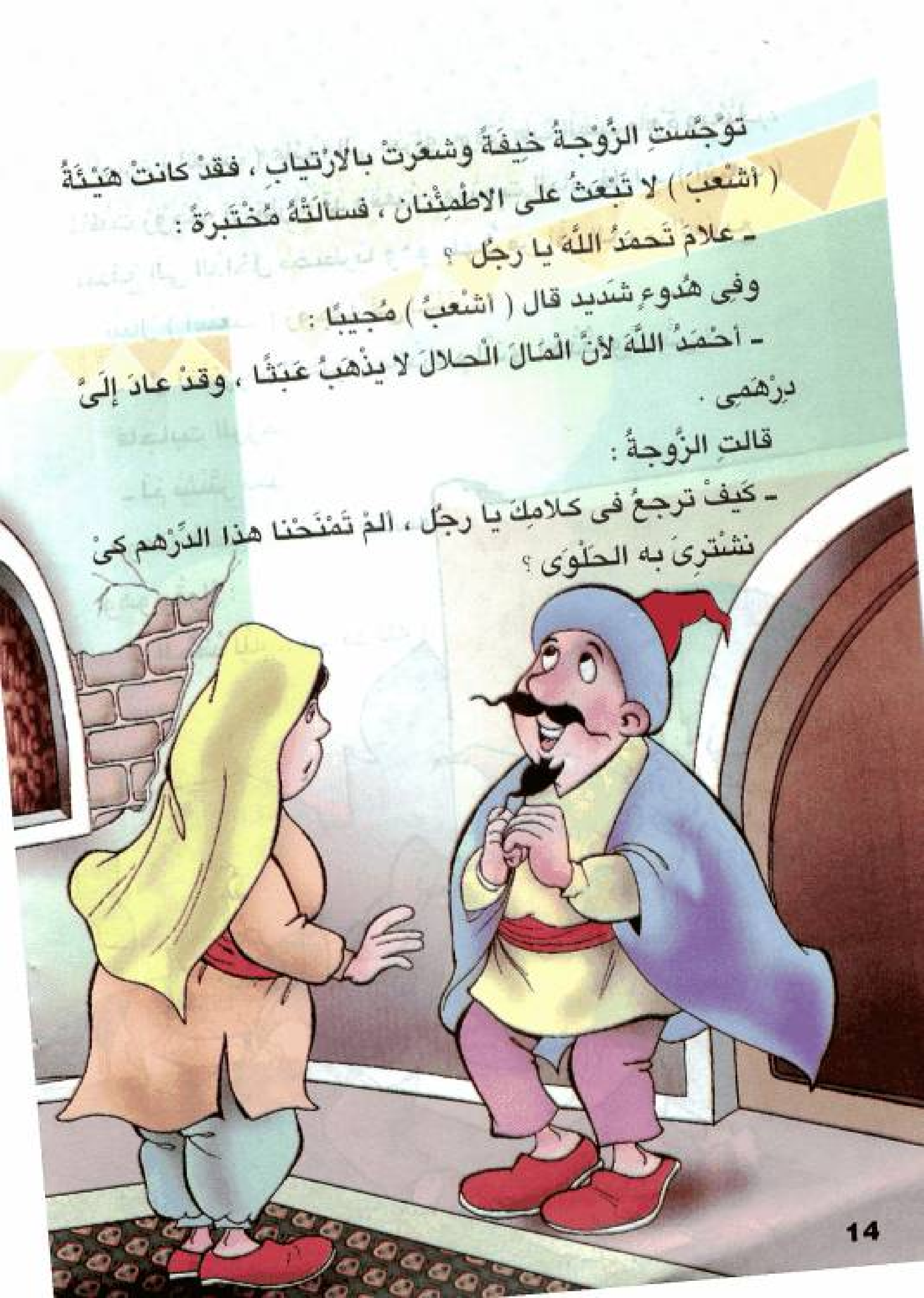
ـ لَمْ نَشْتَرِ بَعْدُ .

وهنا الْتَقَط (أشْعبُ) أنْفاسَهُ

وهو يقُولُ :

ـ الحَمْدُ لِلَّهِ .. الحَمْدُ لِلَّه !





تَوَجَّسَتِ الزَّوْجَةُ خِيفَةً وشعَرتْ بالارْتيابِ ، فقدْ كانتْ هَيْئَةُ (أشْعَبَ) لا تَبْعَثُ على الاطْمِئْنان ، فسألَتْهُ مُخْتَبِرَةً :

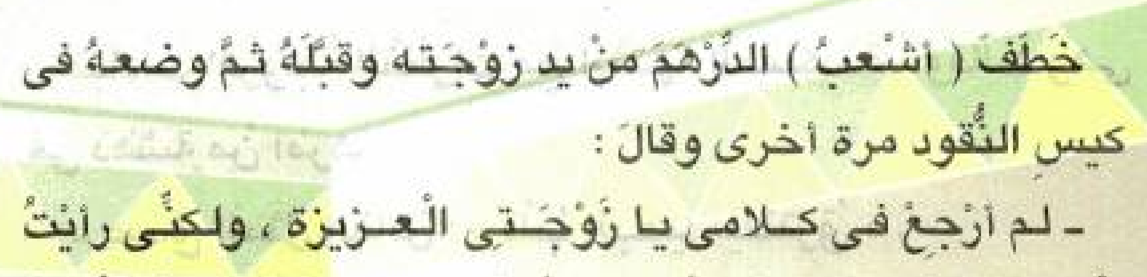
- علامَ تَحمَدُ اللَّهَ يا رجُل ؟

وفي هُدوءٍ شَديد قال (أشْعَبُ) مُجيبًا :

- أحْمَدُ اللَّهَ لأنَّ الْمَالَ الْحلالَ لا يذْهَبُ عَبَثًا ، وقدْ عادَ إلَيَّ دِرْهَمِي .

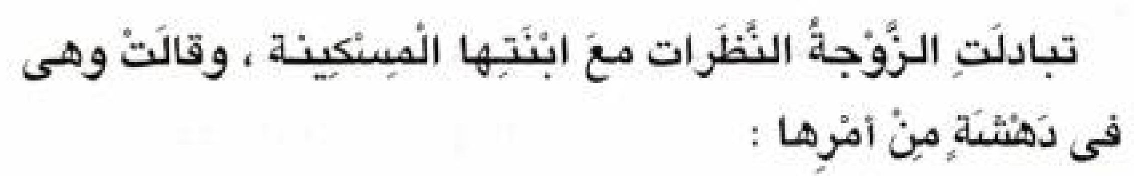
قالتِ الزَّوجةُ :

- كَيفْ ترجعُ في كلامِكَ يا رجُل ، ألمْ تَمْنَحْنا هذا الدِّرْهم كيْ نشْتَرِيَ به الحَلْوَى ؟



خَطَفَ (أشْعَبُ) الدِّرْهَمَ مِنْ يد زَوْجَته وقَبّلَهُ ثمَّ وضعهُ فى كيسِ النُّقُود مرة أخرى وقالَ :

- لم أرْجِعْ فى كلامى يا زَوْجَتى الْعزيزة ، ولكنِّى رأيْتُ الْعجبَ العُجَابَ ، رأيْتُ (سَعْدُونَ) الحاوىَ يُعَرِّضُ نَفْسَهُ للموْتِ مِنْ أجْل درْهمٍ يحْصُلُ عليْه فى آخرِ الْعَرْض ، فقُلْتُ فى نَفْسى : إنَّ هذا لَهو عيْنُ الإسْراف والتَّبْذير ، فرجُلٌ يدْفعُ حيَاتَهُ ثمنًا لدرْهم ، ونَحْنُ بكُلِّ بسَاطَةٍ نشْترى بهذا الدِّرْهَم حلْوى .. ألَيْسَ هذا تَبْذيرًا وإسْرافًا ؟



تبادلتِ الزَّوْجةُ النَّظَرات معَ ابْنَتِها الْمِسْكِينة ، وقالَتْ وهى فى دَهْشَةٍ مِنْ أمْرِها :

ـ صدَقَ الْمَثَلُ القائِلُ : « قلْبُ البخيل يَحْتَرِقُ » .

لكنَّ (أشْعب) دخل حُجْرتَه ، وكأنَّه لمْ يسْمَعْ شيْئًا ، وفتح كيسَ نُقُودِهِ وأخذَ يتأمَّلُ دراهِمَه ، ثمَّ لمْ يلْبَثْ أن راحَ فى نوْمٍ عميق ، وهوَ يَحْتَضِنُ كيسَ الدَّراهِم .

(تمَّت)

رقم الإيداع : ١٦٥٠